

١١ - في جمالية النص المعاصر

١ - الناقد والمبدع :

إلغاء متبادل

يعيش المجتمع الجزائري ثقافة الإلغاء، ويمارسها بطرق مختلفة. ونقصد بثقافة الإلغاء ذلك النشاط الفكري الذي يعتمد على إلغاء الآخر، لتأكيد الوجود الذاتي أو الشخصي داخل المجتمع الواحد. وفيه نفي للموضوعي، فالمبدع يشعر أنه مركز العالم، ولا يتحقق وجوده إلا لنفي الآخر، فتتضخم الأنا لديه وهي أنا متعددة الوجوه، أنا الماضي المتشكلة من المورث الثقافي للمبدع، وأنا الحاضر التي تنهل من ثقافة الصراع اليومي المباشر، وأنا المستقبل وهي التي تحدد رؤية المبدع إلى العالم. وقد سعى المبدع عموماً، والشاعر خصوصاً، إلى تضخيم صورته عبر التاريخ، وإلى التأكيد على دوره الفعال في المجتمع، وتحمس كثيراً للدفاع عن نشاطه الإبداعي.

إن تضخم الأنا عندنا ينبع من تأكيد الوجود انطلاقاً من إلغاء الآخر، وربما يردّ هذا إلى الشعور بالنقص، ولهذا يحاول المبدع أن يعوّض هذا الشعور بعدم الاعتراف بسلطة الآخر (الناقد) عليه وينصب نفسه نبياً. وفي المقابل نجد أن الناقد شاعر بالنقص، ولهذا لا يعترف بالمبدع. والحقيقة أن القضية قديمة في تراثنا الفكري الذي قام في بعض جوانبه على الإلغاء، فقد سعت الفرق الدينية إلى التعامل مع ثقافة الإلغاء تعاملًا مع العمق، وبشرت ذلك حتى على المستوى الإبداعي(1).

ونجد الأمر ذاته في تراثنا الأدبي النقدي، فرجال الشعر المحدث لم يعترفوا بسلطة الناقد عليهم، ولهذا حاولوا أن يتجاوزوه بخلق طرق إبداعية لا تأخذ بالطروحات النقدية، محاولة خلق عالم لا وجود فيه لهذه الأصنام القديمة،